

لم يكن هم البحث والدرس للثقافة العربية ، مافيهما وحافرها ، هو الخط المميز فقط لانتاج الفكر المعروف جاك بيرل ، بل شغل هذا الفيلسوف الفرنسي الكبير نفسه دائما بمستقبل العرب في وحدتهم السياسية وانبعاث حضارتهم على مستوى تحديات العصر .

ولقد رأت مجلة «النحو العربي» أن تستشف خلاصة المؤلف العضاري الذي نمت إليه تجربة فيلسوفها خلال معايشته الذئبة الكبيرة والمديدة لتطورات النهضة المرسية الجديدة ، منكساتها وموئلاتها .

ولعل أهم ما يلفت المثقف العربي من خطوط هذا الموقف الفلسفى
سيزد هو المهم الخاص لوحدة العرب على أساس من مرحلية التعددية بين
أربع وحدات الفلسفية أن صع الوصف ، تانى بنوع من اسبقية المكتبات
الاستراتيجية التي ان تحقق ، عجلت بقيام الوحدة العربية الشاملة على
أساس من التنوع والتكامل الحضارى بين مختلف الفصائين الفلسفية التي
تتفاعل ، كما تفاعلت تاريخياً ، لتنتم الشخصية القومية الواحدة المتطرفة .

و هنا يتزع فكر بيروت ، عبر آفاق تأملاته ، الى اهادة طرح لشكلة الاطار
الجغرافي التقليدي الذي يمكن لحضارة العرب الجديدة ان تتفاعل معه ،
وهو اطار الشواطئ المتوسطية شمالها وشرقها وجنوبها ، بحيث تتواصل
حضارات هذه الشواطئ التذهرة مرة اخرى ، ولكن ليس عبر التصادم
والتصارع الذي مرت به عبر تجربة العلاقة بين العرب والشعوب الالاتينية
المتوسطية ، انما بما يشبه ثانية المهد التاريخي العميد الذي كان التوسط
عليه يعتبر بغيره غريبة ، اي عبر تواصل حضاري انساني على مستوى

هذه الأفكار الماكرة والمستقلية يعيد تناصيلها جاك بيرلر بما يشبه
العلم التاريخي الجديد لطلاع الثقلين العرب والأوروبيين من أجل حوار
حضاري حديث يكون قادرًا في يوم من الأيام على تحقيق هذه التسوية.

ومتي كان التاريخ الا سلسلة من الابتهاجا بعضها ينبع فيهم واما ،
والآخر يظل يتحدى مكانت الشعوب لتقلب المستهيل الى تاريخ هي
ببدع .

أُجْرَى الْحَوَارِ بَدْرُ الدِّينِ عَزِيزُ دَكَّيِ

هذه الجدلية و نتيجتان لها . ولتناول الامور من بداياتها ان شئنا . من المؤكد ان كل اولئك الذين يعتبرون انفسهم عربا اليوم ينطلقون من الوحدة التي جمعت - منذ زمن بعيد ولا شك ، الا ان آثارها ما تزال حية - الشعوب من جنوبي شرقي آسيا وحتى العالم الثاني ؛ مع مراكز لمعت بشكل خاص كسورية الامويين ، ومصر الطولونيين ، ومغرب الادريسيين ، واندلس الامويين .

هناك اذن هذا الاساس الوحدوي الذي يملك في نظر العرب اليوم قيمة واقع . واذا كان يشكل حقيقة تاريخية مؤكدة تمام التأكيد؛ فإنه كذلك اسطورة . وباسم هذا الجانب المزدوج لهذا الاساس ، الواقعى والاسطوري ، انما تصرف العرب في ظل الاستعمار ضد التجوزة الاجبارية التي فرضتها عليهم الامبراطوريات الاستعمارية : هنا الفرنسيون ، وهنالك الانكليز وبعدها العثمانيون او الإيطاليون .. الخ . وباسم الوحدة انما تابع التحرر من الاستعمار هذه الاساطير Mithes . واني لا ازال اذكر ان السلطان محمد الخامس قد قطع علاقاته بالقديم الفرنسي بجملة واحدة وردت في خطابه الشهير في طنجة عام ١٩٤٧ ، اعني استشهاده بالجامعة العربية . بهذا الاستشهاد بالوحدة او بالجامعة - لأن الجامعة تعنى مجرد تجميع - انما فتح محمد الخامس المرحلة الشبيهة من مراحل التحرر المغربي في ذلك العام .

- هل تعني ان الوحدة العربية كانت في اسس التحرر من الاستعمار ؟

جاك بيرك : نعم ؛ غير انه ما ان يتم

- اعطيت كتاب الاخير عنوان ARABIES ، كما لو انك اردت ان تؤكد على علامة الجمع بالدرجة الاولى . غير ان العرب يعتبرون انفسهم واحدا ، فلم التأكيد على التعدد اذن ؟

جاك بيرك : حسنا ، قبل كل شيء اسباب اختيار هذا العنوان . فالى جانب البلاد العربية الحقيقة ، انكر ايضا بالبلاد العربية الخيالية . ذلك ان الحلم جزء من الواقع ، بل جزء من الواقع العربي على وجه الخصوص . ضمن هذه الشروط كل شيء على ما يرام . الا انه يجب الترجيح بين الحلم والتاريخ . وبعبارة اخرى لا يغدو الحلم صالحًا تاريخيا الا بشرط ان يتفضل مع التاريخ ؛ ومن المؤكد ان التاريخ بلا حلم ليس تاريخا يؤدي الى الواقعى .

اقول هذا لا ضيق القول : انك قد اشرت بحق الى محور من محاور هذا الكتاب واعني به جدلية الواحد والمتمدد .

هذه الجدلية جوهرية في عملية تطور العرب ، وفي وضوح كل ما يقومون به في العالم المعاصر، فيما اظن . ولا شك ان ما عاناه العرب من فشل في مجال اعز المشاريع بالنسبة لهم ؛ انما نتج عن عدم تحليل هذه الجدلية تحليلًا كافيا .

- ولكن كيف ننظر الى هذه التعددية على مستويين : مستوى الثقافة العربية ومستوى الوحدة السياسية العربية ؟

جاك بيرك : الواقع ان الوحدة السياسية والثقافة هما في آن واحد عنصران في تركيب

ما الذي تعلمنا اياه الانترنت وبولوجيا ؟ انها تعلمنا انه ليس هناك وحدة بدون تباين قائم داخلها . فليس تنوع الاقاليم هو الذي يصنع ضعف فرنسا ؟ وانما على العكس ؟ فان ما يمكن ان يسبب هذا الضعف ، هو تماثلها . ان هذه الملاحظة الانترنت وبولوجية تنطبق على الجميع . يجب عدم الخلط بين الوحدة Unité والوحدة Unitarisme . لكن العرب ما يزالون يدعون الى الوحدوية ، ولم يقوموا حتى الان بالدعوة الى الوحدة .

- حسنا ، يعرف المثقفون العرب انك من اكبر المثقفين الغربيين ادراكا لنزوع العرب نحو الوحدة بل من الصاعدين لها . ما هي برأيك العوامل والمصيقات التي تحول بين وحدة العرب الثقافية ان قل الاليوم وحنة سياسية حقيقة ؟

جاك بيرك : اولا ، اذا كنت من انصار الوحدة العربية . نعم ، انتي من انصار الوحدة العربية التي احالها كثير من العرب انفسهم الى ميدان الاساطير اليوم . انهم يتحدثون عنها ، لكنها تصبح في حديثهم موضوع فصاحة وبلاغة لا موضوع مشروع ينتظر التحقيق . في حين انتي لا اكتفي باعتبارها صالححة ضمن الخط التاريخي لكل الامة العربية ، لكل الواقع العربي ؟ وانما اعتبر ايضا انها الاداة الوحيدة التي تقدم للعرب امكانات اعادة النظر في بعض اكبر الشرور وابكر الصراعات التي يعاني منها العالم العربي . وعلى سبيل المثال ، لو كانت هناك وحدة في المغرب العربي ، اعني بال المغرب هنا مجموع الشمال الافريقي ، هل كان يمكن ان تثار مشكلة كمشكلة الصحاء

تحقيق التحرر حتى توالى مواكب المسؤوليات . فما الذي قام على انقضاض الامبراطوريتين الفرنسية والانكليزية : ام ام شبه ام مجرد دول ؟ مما يشير الفضول مثلاً : ان الكويت حين اعلنت استقلالها من ذمن قريب لم تطلق على نفسها امة ، وانما دولة الكويت كما تعرف . الدول هي التي انبثقت فوق انقضاض الاستعمار وليس الامر . لماذا ؟ ليس ذلك لغياب الشعور الوطني بل على العكس تماماً ، بل ولأن الشعور الوطني ما يزال في معظمها وحدوياً حتى في ا Kristen البلدان العربية تفرداً ، في البلد المفرد عبر ٢٠٠٠ السنين من التاريخ ، اعني مصر . حتى في مصر التي هي البلد العربي الوحيد الذي تستخدم فيه الكلمة امة بمعنى الشعب المصري ، اقول حتى في مصر ؟ فان العامل العربي لعب وما يزال يلعب دوراً كبيراً .

- لنعد مرة اخرى الى فكرة التعدد .
ان من العرب من يخشى ان تؤدي هذه الفكرة
الى تبرير نزعات انفصالية ما يزال دعائنا ،
باسم التعدد ، حاضرين هنا او هناك !

جاك بيرك : ذلك لأنهم لم يستخدمو التعليل أو المحاكمة الجدلية ، ولأنهم يرون في التعددية عدوا للوحدة . أما أنا فأعتقد أن عدو الوحدة هو الوحدوية Unitarisme .

الوحشية ؟

جاك بيرولك : عدو الوحدة هو الوحدوية،
اعني اراده معاذهلة او صهر الكل ، اي الفاء
الثابن الداخلي :

وطأة الامبرالية في هذا المجال . وانه لمن السداحةظن بأن ظهور الدول العربية الجديدة على انقاض الامبراطوريات الاستعمارية القديمة قد خلص العرب نهائيا من كل تأثيرات الاستعمار . بل ان من الممكن القول - لاكثر من سبب - ان الاستعمار الجديد الذي يحكم العالم اخطر بكثير من الاستعمار القديم او الكلاسيكي . اذ انه يغطيسيطرین الحقيقيين على مقدرات الشعب من مسؤولياتهم ، ويجعل سيطرتهم هدامه فعلا . بينما لم يكن من مصلحة المستعمرين القدماء ان يهدمو . خذ الفرنسيين مثلا الذين ، رغم كل مصالحهم الخاصة التي كانوا يسعون لها في استعمارهم المغرب والجزائر ، لم يكن من مصلحتهم هدم هذين البلدين .

- حسنا ، ما هي مصلحة اوروبا مثلا في ان ترى الوحدة العربية قد تتحقق سواء ضمن الصيغة التي طرحتها او ضمن اي صيغة اخرى ؟

جاك بيرك : على المستوى الفرنسي ، اعتقاد - على كل حال - ان تجتمع في شمال افريقيا سيكون قابلا لان يحسن - بالتدريج - جو العلاقات الفرنسية المغربية . واكرر مرة اخرى اعني اعني بال المغرب مجموع شمال افريقيا . كما ان مثل هذا التجمع سيمكن المغاربة وعيا بقوتهم لم يستكملوه بعد كلبا . وستكون العلاقات التي سيطرونها مع المستعمر القديم مرة اخرى ومن نواح عديدة خالية من المقد . اما فرنسا فستكون مدعاة بهذا التجمع لكي لا تجعل علاقاتها مع المغرب العربي الكبير تعتمد نسبيا على تنوع النظم وما

الفربيه ضمن اطار وحدة المغارب ؟ ولو كانت هناك وحدة حقيقة لما كان يطلق عليه الهلال الخصيب ، اعني تلك المجموعة التي تبدأ من فلسطين وتنتهي بالعراق ، هل كان يمكن للقضية الفلسطينية ان تتفاقم على النحو الذي شهدناه ونشهد ؟ .

ودون ان امضي الى حد الحديث عن وحدة شاملة تضم الكل من الخليج الى المحيط - اذ اعني ، ربما لانني غربي ، آخذ بعض الاعتبار هنا ايضا الواقع الاجتماعي - الاقتصادي ومشكلات التكامل ؛ بل وحتى الهويات المحلية - اعتقد ان بوسع العالم العربي واقعيا ان يتوحد مؤقتا على الاقل ضمن اربع وحدات كبرى او اربع مجموعات جزئية *Sous-ensembles* او اذا شئت اربع قربات كبير : الشمال الافريقي ، وادي النيل ، الهلال الخصيب ، الجزيرة العربية . اذ مما يمكن ملاحظته ان في كل واحدة من هذه المجموعات الجزئية تجاسسا قويا في الطبع البيني : ولا اعني مجرد التعلمات بقيمها المبنية ، وانما الاشياء الاشد عينية منها ، اي الاقتصاد وسوسيولوجيا الجماعات والجدلية ؛ وهم جرا ..

وباختصار : اعتقد انه اذا ما امكن انجاز تكوين هذه المجموعات الجزئية ، فان العرب سيجدون فيها وسائل لحل جزء كبير من اكبر مشكلاتهم الحاحا .

- اليك هناك - بالإضافة الى المعيقات الذاتية في تحقيق الوحدة - معيقات خارجية ؟ الا تلعب الامبرالية دورا حاسما في هذا الاتجاه ؟

جاك بيرك : بالطبع . اذ لا يمكن اغفال

كل سياسة عربية ان تنزع الى تحقيق هذه الاداة . وبعبارة اخرى ان تعمل كل سياسة عربية على جعل ذراع الميزان الذي تطلق عليه اللغة العربية هذه التسمية الجميلة «الرجحان» عموديا تحت طائلة الانسحاق تحت ثقل القوتين المتخاصلتين الموجودتين على كفتي الميزان ...

كيف يمكن مضاعفة هذا الثقل الخصوصي ؟ ان فكرة الوحدة الاوروبية تستجيب لهذا المشروع . ولكنكم سيتضاعف هذا الثقل لو تعاون العرب مع اوروبا ايضا لتحقيق هذا التوازن ، وخاصة اذا تم هذا التعاون بين فرنسا والامم المتوسطية .

واعترف لك ان اتجاه نظري نحو تحقيق مثل هذا التوازن هو اتجاه قد املته علي اختبارات حياتي نفسها . لقد دارت حياتي بين اللاتينية والهيلينية وبين العالم العربي . وبعبارة اخرى استطيع القول ان موظني (وليس وطني ، لأن وطني هو فرنسا) هو ما بين الامم اللاتينية والامة العربية .

— تقول ان للعرب دورا استراتيجيا في تحقيق هذا التوازن . كيف تتصور هذا الدور ؟

جاك بيرك : انه — على كل حال — لن يكون دور سباق او رهان يعمل فيه كل طرف على الشد الى ناحيته او يجهد في الاغتصاب ، وانما على العكس ، سيكون دورا فعالا في تحقيق التوازن ؛ حيث سيبتاج لنا ان نشهد عودة وتحقق حلم الامميين ، الذي كان ايضا حلم العثمانيين .. اعني ان بعض الافعى ذنبها . اي ان هناك عصرا سياسيا وثقائيا يخيم على

تقدمه من تمهيلات . وباختصار ، سوف ينبع عن وحدة المغرب العربي — مثلا — تحسن ملموس في طبيعة العلاقات بين فرنسا وشمال افريقيا .

— وبالنسبة لمجموع العالم العربي ، او كما تحب ان تقول الشاطئ ، الاخر من المتوسط . ما هي مصلحة اوروبا في مواجهة عالم عربي موحد على الاقل اقتصاديا وثقافيا ؟

جاك بيرك : اننا ندخل هنا في ميدان التفكير الاستراتيجي .

— بالتأكيد !

جاك بيرك : بل وفي مجال الاستراتيجية العالمية . اعتقاد ان كل امم العالم هي الان رهن مستقبل وتطور الخصومة المهيمنة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيatic .

فلنخل عن الاوهام . كل امم العالم ، فيما عدا هاتين الامتين ، مرتبطة بتطور هذه الخصومة . وحتى حين تعلن بعض الشعوب ، والشعوب العربية من بينها ، عدم انجازها ، فإن من الخطورة بمكان الظن بأنها قادرة على الفكاك من آثار هيمنة هذه القوة او تلك سواء في اتفاقهما او في صراعهما .

واذا كان ذلك ينطبق على فرنسا بدرجة اقل حدة فمما لا شك فيه ان مستقبلها يتوقف على مآل هذه المعركة المهيمنة . وسيظل هذا المستقبل رهنا بمال هذه المعركة ما لم تتحقق فرنسا بذاتها اداة ذات ثقل خاص قادرة على ان تتخلص بها من هذا الاهتزاز وتلك الظروف . وبمعزل عن كل فكرة او اختيار ايديولوجي او سياسي فرنسي بالطبع ، اعتقد بأنه على

يعتبرون ، وهم على حق في ذلك ، ان مصر مثلا في فترة ما بين الحربين كانت اكثرا ابداعا على كثير من الاصناف ، وخاصة على المستوى الثقافي من مجموع البلدان العربية . فاين نجد ، بدءا من الحرب العالمية الثانية وفي ظل التحرر من الاستعمار في مصر نفسها ، مثل هذه المجموعة من اكثرا العبريات اختلافا وتنوعا : كشوفي وطه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم وذكي مبارك وغيرهم ؟ انا لا نجدنا في اي مكان . ومع ذلك فان علينا ايجادها ، علينا ان نجد الكثير من المبدعين في العالم العربي في كل المجالات ، وليس في المجال الادبي فقط .. غير ان الشرط الاول لذلك هو الحرية: حرية المثقف وحيوية المثقفين المدعوين في العالم اجمع لان يلعبوا دورا كبيرا .

اما برمجة هذه الابداعية . وهذا هو محور سؤالك فيما اظن ، فانه يطرح مشكلة حاسة لدى العرب . والحق انا ننس هنا احدى هذه التناقضات التي اعج علية كثيرا في دراستي . ان ابداع العرب الحديث ، وحتى كبنونة العرب نفسها ، يسيران في طريقين متباعددين اذا مضى العرب الى غاية كل منهما ؛ فستكون النتيجة تشتت هوية العرب وانقسام المقلية العربية ، اعني بهذين الطريقين : الاصالة دون الحداثة او الحداثة دون اصالة . والحق انا هنا بازاء مشكلة مزيفة .

- لقد فهمت الحداثة ومورست على مستوى استيراد التكنولوجيا .. وكان ذلك يؤدي بطبيعة الامر الى التماهي في ثقافة الآخر ..

جاك بيرك : بالتأكيد ..

المتوسط . ماذا يعني ذلك ؟ يعني ذلك ان على اقدم اطراف الحوار ، الحوار بين العرب وبقية العالم ، اي العرب واللاتينيين ، ان يعمقوا من حوارهم ويخلقا مجالا سامانيا ، مجالا ثقانيا ، مجالا اقتصاديا ؟ بل ومجالا سياسيا في يوم ما .

- يرى عدد من المفكرين العرب ان ازمة العرب الراهنة هي نتيجة الدعوة للسيء في طرقين متباعددين ان لم نقل متعارضين ، احدهما يتوجه نحو الاصول والاسلاف ، والآخر يتوجه نحو التماهي في الثقافة الغربية . ومن ثم فان اباداعية العرب الراهنة تبدو رهن هذه الازمة .

جاك بيرك : اعتقاد ان هناك شروطا خاصة واولية لكل ابداعية ، ثقافية كانت ام غير ثقافية ، وهي شروط تنحل في شرط واحد هو شرط الحرية . ولأسباب مختلفة ، لا تبدو لي حرية الابداع مكفولة او ممارسة بما فيه الكفاية في العالم العربي حاليا . من بعض هذه الأسباب انه بخلاف الوهم السائد لدى بعض العرب ولدى الاجانب ، فان العرب لم يكونوا ابدا متعددة انبثقت على انقاض الامبراطوريات الاستعمارية ، وانما قد شكلوا دولا جديدة . ولهذه الدول مصالح خاصة بها تعمل للحفاظ عليها . وهي ، فضلا عن ذلك ، مختلفة عن الدول الاوروبية من حيث أنها سابقة على الامم ، في حين ان الدولة في اوروبا هي تعبير عن الامة وتمثيل لها الى حد ما . ولهذا فالحرية ، وخصوصا حرية الابداع ، ليست هي التي تميز مسيرة العرب الراهنة . ومن هنا فان كثيرا من العرب

مشكلة الواحد والمتعدد، نلتقي قصور قطاع من الفكر العربي عن ادراك الاشياء جدياً. فالبعض يطرح الواحد والمتعدد كمدوين دون ان يرى ان تركيبهما هو في تجاوزهما ، أي في طرحهما بصرامة . وينطبق ذلك ايضا على الاصالة والحداثة . ان الهوية لا تنفصل عن التاريخ . ولكن لكي نحافظ على الهوية عبر تتابع الاطوار التاريخية لا بد من وجود ثوابت ، وبدون هذه الثوابت سيكون الامر تغييرا في الكينونة . هل ثمة من يقول بوجود كائن يحل محل آخر في مراحل حياة الانسان طفل ومراهاقا وراشدا ؟ اليه هو نفس الكائن الذي يتتطور ؟ ان ذلك ينطبق ايضا على الشعوب .

- من الهوية الى الاصالة الان . لقد تحدثت في كتابك «كلمة العرب للعالم الجديد» عن القاعدة التي يرتكز عليها تقدم الشعوب . هذه القاعدة هي الطبيعة الثقافة ؛ الطبيعة مثقفة والثقافة مطبعة . اذا عدنا الى تحديك لقاعدة العرب ، فانها ليست ثقافة العصر الجاهلي فحسب وانما الاسلام ايضا متجلسا في القرآن .. اننا نحاذى هنا حدود الميتافيزيقيات ..

جاك بيرك : ليست الاصالة مفهوما ميتافيزيقيا ، وانما هي مفهوم سوسيولوجي . انها علاقة الامة بقواعدها . لكن حذار ، فهذه القواعد معقدة . هناك بالطبع قواعد طبيعية وبيئية ، الا ان هناك ايضا قواعد اركيولوجية اذا جاز القول وقواعد ثقافية . الاسلام بالنسبة للعرب ، هو اقوى القواعد الثقافية . ومن هنا دور الاسلام في الحداثة ، ويجب ان يعكف على دراسته كل المفكرين العرب تحت

- ان الاستمرار في هنا الفهم وهذه الممارسة سيؤدي الى ضياع الهوية التي يجب البحث عنها في اعمق التاريخ .

جاك بيرك : لا تكف التكنولوجيا عن ان تكون محض استهلاك ، اي عبودية لمنتجها الحقيقي ، الا عندما تصبح هي نفسها ابتكارا . كما ترى فاننا نلتقي مشكلة الابداعية في كل مجال .

فليس الهدف ان يبني العرب في هذا المكان او ذاك مصنعا رائعا من آخر مبتكرات التقنية الحديثة ، اذ ان التقنيتين في هذا العمل سيكونون اجانب او عربا تدريلوا وتعلموا في البلاد الاجنبية لتسخير هذا العمل . وانما الهدف ابتكار التكنولوجيا او الاسهام - على الاقل - بنسبة مشرفة في مجموع الاكتشافات التقنية في عالمنا المعاصر .

خذ مثلا براءات الاختراع . ما هو عددها السنوي في العالم العربي ؟ اذا بحثنا وتعقمنا في هذه المسألة وجدنا ان المبتكرين العرب انما يبتكرون خارج بلادهم .. تلك مشكلة اخرى ، مشكلة هجرة العقول ، التي هي الى حد ما نتيجة عدم كفالة شرط كل ابداع : الحرية .

- نعود الى فكرة الهوية ، فهي محور ابحاثك الاخيرة . يعرض البعض على هذه الفكرة على اساس ان الهوية لا تخضع للتاريخ . اما مفهومك للهوية فهو تاريخي .

جاك بيرك . بالضبط .

- كيف تحدد الهوية اذن ؟

جاك بيرك : هنا ايضا ، كما هو الامر في

الشيوعية اقل تحققها في العالم العربي منها في اي منطقة اخرى من العالم ؟ لقد كان هناك عدد مهم من الماركسيين العرب الذين كانوا ايضا من اذكي واهم المتفقين العرب . ومع ذلك فان الماركسيات في العالم العربي لم تكن في نظري سوى تربية ، ولم تتحقق سياسيا على الاطلاق .

واذا كان ثمة ثورات ، فقد صنعوا الآخرون من غير الماركسيين ، لا الماركسيون ؟ وحين حاول الماركسيون مثل هذه الثورات ، فشلوا في تحقيقها .

لا يتوجب علينا استخلاص النتائج ؟ اذا وضعنا انفسنا على صعيد التاريخ بوصفنا ماركسيين جيدين ، وانت تعلم ان الماركسية ليست غريبة علي ، بل انها تلعب دورا كبيرا في ابحاثي ، فانا اتحدث عن الجدلية ، والجدلية المعنوية هي الجدلية الميفلية الماركسية . اقول اذا وضعنا انفسنا على صعيد التاريخ فاننا مرغمون على النظر الى الانفخار لا ك مجردات ؟ وانما ك تحققات عينية تم من اجل الشعب وبقدراته وفيه .

لا يتوجب علينا استخلاص النتائج ؟ الم يكن من السخرية ادعاء تجرييد الدين في مجموعة من البلدان يمارس فيها هذا الدين من قبل جميع الطبقات الاجتماعية بنسبة ربما قاربت ٩٠ % ومن تمثل نسبة الـ ١٠ % الباقية ؟

- اذا اخذنا جانبا آخر من جوانب الحياة العربية المعاصرة نلاحظ ان نموذج المجتمع الاستهلاكي الغربي يغزو بنية التنمية العربية حاليا . ما هي النتائج التي سيتمخض

طائلة اهم احدى اهم المشكلات المتعلقة بكينونتهم الراهنة .

- دور الاسلام بوصفه دينا ومارسة شعائرية ام بوصفه اطارا ثقافيا ؟

جاك بيرك : ان ما اعنيه بالاسلام طبعا هو الجزء الاهم من التراث . اني اترك جانبها وبشكل مؤقت الجوانب الميتافيزيقية التي لا تدخل في اهتمامنا والتي يمكن تناولها ان شئت ، الا ان هذه الجوانب الميتافيزيقية في النهاية ، وهي جوهرية بالنسبة للمؤمن ، قابلة للفصل في تحليلنا الحالي عن الجوانب السوسيولوجية ، وهي ميدان اهتمامي في الوقت الراهن .

- ومع ذلك فلن هنا الاهتمام بالاسلام لم يكن حاضرا ضمن جملة اهتمامات الحركة الماركسية العربية في مرحلتها الستالينية ، اي في المرحلة التي كان يعتبر فيها الدين ، كل دين ، افيونا للشعوب ، وهي مرحلة عوامل فيها الاسلام كجزء من تراث العرب المتخلف بخلاف من ان يعامل كاطلر ثقافي او كاطلر انتقامي ..

جاك بيرك : اذا كان الدين افيون الشعوب وفق مزحة ماركس ، اذ لم تكن سوى مزحة او بفورة ان شئت ، واذا كانت غالبية الشعب بناء على ذلك تدخن الافيون الا تنتج عن ذلك ، الا يجب ان تنتج عن ذلك نتائج محددة بالنسبة لمحدثينا الجريئين ؟ والا فلمن يتوجهون بمعاظهم ، لمجموع الشعب ام للصفوة المختارة اي لانفسهم في النهاية ؟ الا يجب التساؤل عن السبب الذي جعل من

عنها ذلك بالنسبة لنهاية الحرب المعاصرة
برأيك ؟

النفط الذي يلعب دوره ولا شك في اعطاء العرب سمعة أكبر ، اذ يمكن التحدث انذاك عن القطن والفوسفات وما اليهما .

الخلاصة ان العالم العربي يحتل او يستعيد في مجموعه مكانته على كوكبنا . غير انه اذا كان على النظر ان يكون مثالاً حتماً في هذا المجال ، فان عليه ان يكون اكثر تحفظاً بالنسبة لما يجري داخل العالم العربي . وبهذا الصدد اعتقد ان سوء التفاهم الكبير الذي تحدثنا عنه هو الامر : بعض العجز عن فصل مجالات المشروع عن القول والحلم وخلط هذه المجالات بهما . لكل من الاطراف شرعيته الخاصة ، شريطة ان يحدد له دوره الخاص به والذي يختلف عن الادوار الاخرى . كما انه لا بد من الاشارة هنا الى ما ذكرته قبل قليل ، واعني به ظاهرة الدول التي اعقبت المرحلة الاستعمارية بدلالة من الظاهرة القومية . اذ على الرغم من المظاهر ومن كل ما يقال عن القومية ، فان ظاهرة « الدولية » وليس القومية هي التي اراها قيد الانجاز في كل انحاء العالم العربي .

هذا النوع من الحلقة المفرغة الذي يرغم كل من في السلطة على احمد كل معارضه لكي يبقى في السلطة ادى الى نتيجة مفادها انه لا يمكن احداث اي تقدم الا بالقيام بانقلاب .

وبايحران فان هذه الظواهر المروعة تقدمنا الى صب آمالنا ، لا في الصعيد الرسمي والمؤسساتي ، وانما في مجال الحركات غير الرسمية او الكبوة : كالحركة النقابية ، وحركات الشباب ، والانتلجنسي ، والجماهير الفلاحية ... وعلى هذا المستوى استطيع

جاك بيرك : حسية جامعة لدى قطاع كبير من الشباب العربي ، وانحدار المثالية بالمعنى النبيل لهذه الكلمة في السلوك ، فضلاً عن ان معظم الدول لن تهتم بالحاج الا بالظاهر المادي من الحياة مهملاً القيم . اي ان معظم هذه الدول ستخضع للثورات التي تقوم هي نفسها باسم القيم .

- انك تتبع عن كتب وبشكل دائم حركة الفكر العربي وخاصة من خلال الكتاب والمبعين والمفكرين العرب . ما هي في نظرك الظواهر الايجابية والسلبية التي تستخلص من انتاجهم ؟

جاك بيرك : تسود الايجابية غالباً في نظري . اقول ذلك دون اي محاباة من قبلي . فلقد سمح لي حياتي الطويلة ان اشهد العديد من المراحل التي مر بها العالم العربي ، واذكر فقط انه منذ اربعين عاماً ، وكان لي من العمر عشرون عاماً ، كان العالم - لا العربي فقط بل الاسلامي - في مجموعه من بحر الصين حتى المحيط الاطلنطي تحت سيطرة الاستعمار . في حين اتنا شهد اليوم ان العالم العربي وبعض الدول العربية قد أصبحت على الصعيد الدولي مراكز فعل لا يمكن اهمالها في السياسة الدولية .

العالم العربي هو اذن في طريقه لاحتلال او لاستعادة مكانه على الصعيد الدولي والعالمي ، ومن المستحيل علينا ان نقول عكس ذلك . ولا يمكن تفسير ذلك بانتاج وتسويق

ولا اقول انه ليس ثمة محاولات اخرى خارج هذه المحاولات ، او انجازات صالحة او مقبولة بهذا القدر او ذاك ، وانما اعتقد ان علينا ، على صعيد المجموع العربي ، ان نمحور ملاحظاتنا باتجاه هذه المحاولات وكذلك ان ننقد آمالنا عليها .

- اريد ان اعود مرة اخرى الى فكرة المتوسطية . لقد سبق للدعوة الى المتوسطية ان اثارت خلال حقبة قريبة من تاريخنا الراهن كثيرا من الجدل ، بل والخصومة لدى التقين القوميين في العالم العربي بوجه خاص . ذلك انها قد فهمت على اساس انها بديل للحركة القومية العربية في حين انها ، كما عرضتها في ابحاثك ومقالاتك الاخيرة ، وكما نوهت بها هنا ، بعد ما تكون عن مثل هذا التفسير ..

جاك بيرك : مرة اخرى يمكنك ان ترى التأثير السيء لهذه الوحدية Monisme العنيدة عند العرب . عندما اتحدث عن القرابات المتوسطية لفرنسا فهل تظن انني انسى قراباتها الشمالية ، اي الاوروبية الفرنسية ؟.

انني لا اريد لبلادي ان تحد مستقبلها او منظوراته على بعدها المتوسطي فحسب . اذ ان بين الشمال والجنوب في فرنسا ابعادا اخرى ليس بعد الاوروبي سوى واحد منها . وهل تظن انني استبعد من السيرورة الفرنسية مثلا آفاق التبادل مع جزء كبير من افريقيا الناطقة بالفرنسية ؟ ان هذا الافق يدخل ايضا في الافق الفرنسي .

ان ما يدور في خاطري هو ان انضمام البلدان العربية الى مجموع ، يجري تحديد

القول : انتي متغائل . لكن دعني اكرد صيفتي التي تعرفها : التفاؤلية في التاريخ لا تقوم على الاعتقاد بالسعادة ، وانما على الاعتقاد بالمشكلة ! والحق ان طرح المشكلات قد اغتنى كثيرا في العالم العربي منذ جيل ، وهذا هو اعظم ثناء يمكن ان اوججه للناصرية . صحيح ان الناصرية قد فشلت في بلوغ اهدافها المباشرة ، غير ان المشكلات التي طرحتها على مجموع العالم العربي كانت اكثر تحقيقا وارفع مستوى على صعيد التاريخ من تلك التي طرحت خلال المساجلات السياسية في زمن زغلول الذي ، وان نجح بوصفه زعيما اكثر من نجاح عبد الناصر ، الا ان المشكلات التي طرحتها على شعبه كانت اقل من تلك التي طرحتها ناصر . ومن هنا فان التاريخ سيفرد صفحة خاصة لجمال عبد الناصر مثلا سيفرد لبعض الاوساط او القوى ذات الحيوية الخاصة في العالم العربي .

- اي اوساط تعنى ؟

جاك بيرك : سأسميها لك ، لكنني اذ افعل لا اقصد من وراء ذلك القيام بتصنيف او توزيع جوائز تقوم به معا ضمن خليتنا كمثقفين . مثل هذه المحاولة ستكون ولا شك مثار سخرية ؛ فضلا عن اننا لا نستطيع ضمن حدود محادثة موجزة بهذه وصف الكل بالخير او بالشر . وبشكل عام ، فقد ادهشتني في العالم العربي الطابع الايجابي لثلاثة جهود ، لثلاث محاولات تتفاوت في نجاحها في تحقيق منجزاتها ؛ بعضها قد مضى ، وبعضها ما يزال في نشاط ، واعني بها : الاشتراكية الناصرية ، والاشراكية البعثية ، والاشراكية الجزائرية .

انني اعتبر اننا قد بلغنا اليوم طورا هو طور التجاوز ، والى هذا التجاوز ادعو العرب مثلا ادعوا الفرنسيين .

— لبناء اندلس جديدة؟ . لقد تحدثت عنها في خاتمة كتابك الاخير .

جاك بيرك : بالضبط .

— او ليست هذه النعوة مجرد يوتوبيا؟

جاك بيرك : نعم انها يوتوبيا .

— وبها تؤمن؟

جاك بيرك : نعم ، لأنها يوتوبيا وليس عصرا ذهبيا . هذا هو الفرق .

— بمعنى انها المستقبل؟

جاك بيرك : لانها المستقبل ؛ ولأن اليوتوبيا ، هي زواج الحلم مع المشروع ، في حين ان المصر الذهبي هو زواج الحلم مع الاسف .

(باريس ، ابريل ، ١٩٧٨)

معالمه فيما بعد ، يجمعها مع غيرها من البلدان المجاورة على صفاف المتوسط لا ينفي ابدا انتماها الافرو اسيوي . ان كل بلد ينقل ضمن ميدانه كمية من الامكانات ، وعليه يقع عباء إعادة توجيهها لا وفق محور وحيد وإنما وفق عدة محاور . وها نحن من جديد نلتقي بالمتعددية . لكن دعني اتعمق هنا في هذه المشكلة ؛ هذا الجانب المتوسطي الذي يعتبره كثير من العرب نقضا مباشرا للتقليد الاسلامي ، الم يكن نواة التاريخ العربي برمهه منذ الامويين؟ لقد كان التاريخ العربي يتوجه دوما نحو المتوسط ، لا بل ان العرب قد اهملوا خلال تاريخهم انتماهم الافرو اسيوي ولم يصيروا الاسيويين الكبار الذين كان يمكن ان يكونونهم . اما اليوم فان المكسب الجديد الذي ربحته حركتهم الحالية كان اهتمامهم بافريقيا واسيا . ومن هنا فاني اعتقد ان من الممكن توحيد كل ذلك في آن واحد .

خلال المراحل العربية والعثمانية تصور العرب المتوسط من وجهة نظر التبادل والخلاف . ثم غزت الحضارات المتوسطية اراضيهم وخاصة في اطار الاستعمار .. غير